

BRITAIN'S ROLE IN SUPPORTING THE ZIONIST MOVEMENT PROJECT ON THE LAND OF PALESTINE (1900-1917)

Zuhair I.A.ALMASRI¹

Dr, Al Azhar university, Palestine

Abstract:

The study dealt with Britain's role in supporting the project of the Zionist movement on the land of Palestine, through several sections, which dealt with: the political project of the Zionist movement, and then to the changes in British policy towards the Zionist movement, and finally, it dealt with Britain's role in enabling the Zionist movement in Palestine, and the study aimed to Research on the foundations of the British-Zionist alliance.

The study discussed the efforts of the Zionist movement to obtain Britain's approval to establish a national home for the Jews on the land of Palestine. The study showed that Britain played an important role in enabling the Jews to control Palestine. The study also confirmed that the issuance of the Balfour Declaration came within the British strategy that married Protestant religious visions. and protecting its interests in the Arab region.

The study concluded that the implementation of the Zionist project on the land of Palestine resulted from the intertwining of British relations with the Zionist movement, and that the Balfour Declaration is not based on any legal or historical basis, and poses a danger to the future of the Palestinian cause.

Key words: Britain, The Zionist Movement, The Zionist Project, The Balfour Declaration, Palestine.

 <http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.16.10>

¹  dr.zahir2015@hotmail.com, <https://orcid.org/0000-0003-3932-454X>

دور بريطانيا في دعم مشروع الحركة الصهيونية على أرض فلسطين (1900م-1917م)

زهير ابراهيم المصري

د، جامعة الأزهر، فلسطين

الملخص:

تناولت الدراسة دور بريطانيا في دعم مشروع الحركة الصهيونية على أرض فلسطين، من خلال عدة مباحث، تناولت: المشروع السياسي للحركة الصهيونية، ومن ثم إلى التحولات في السياسة البريطانية تجاه الحركة الصهيونية، وأخيراً تناولت دور بريطانيا في تمكين الحركة الصهيونية في فلسطين، وهدفت الدراسة إلى البحث في أسس التحالف البريطاني-الصهيوني. ناقشت الدراسة جهود الحركة الصهيونية للحصول على موافقة بريطانيا لإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، وأوضحت الدراسة أن بريطانيا لعبت دوراً مهماً في تمكين اليهود من السيطرة على فلسطين، كما أكدت الدراسة على أن صدور وعد بلفور جاء ضمن الاستراتيجية البريطانية التي زاوجت بين الرؤى الدينية البروتستانتية، وبين حماية مصالحها في المنطقة العربية.

وخلصت الدراسة إلى أن تنفيذ المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، ناتج عن تشابك العلاقات البريطانية مع الحركة الصهيونية، كما أن وعد بلفور لا يستند لأي سند قانوني، أو تاريخي، ويشكل خطراً على مستقبل القضية الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: بريطانيا، الحركة الصهيونية، المشروع الصهيوني، وعد بلفور، فلسطين.

المقدمة:

انطلقت الحركة الصهيونية في مساعيها لإيجاد وطن قومي لليهود من منطلقات توراثية، مستغلة ذلك للتأثير على الرأي العام الأوروبي بوصفه حقاً دينياً، حيث اعتبر "ثيودور هرتزل" أن المسألة اليهودية لا يمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تكون تسويتها عبر الدول الكبرى مجتمعة، لذلك دعا هيرتزل اليهود خلال المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م، إلى إنشاء منظمة صهيونية عالمية تسعى لإنشاء دولة لليهود تكفل لهم الأمن والاستقرار، كإطار يضم اليهود، وكرر هرتزل محاولاته لتنفيذ مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين، من خلال طرح أفكاره خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن سنة 1900م، ومنذ ذلك الوقت توجه اهتمام هرتزل ورفاقه إلى بريطانيا، سعياً لإيجاد وطن قومي لليهود وإنشاء دولة يهودية في فلسطين، وكذلك كسب ثقة الدول الكبرى حتى توافق على تنفيذ أهداف الحركة الصهيونية المتمثلة في إقامة (إسرائيل الكبرى)، بهدف حماية مصالح الدول العظمى في المنطقة العربية.

استطاعت الحركة الصهيونية أن تحقق أهدافها ببناء مشروعها الصهيوني على أرض فلسطين، مستغلة الظروف الدولية المناسبة للدول الكبرى لدعمها وتقديم المساعدة والدعم لها، وانصب تركيز الحركة الصهيونية على بريطانيا، لما تملكه من قاعدة بروتستانتية داخلة للأفكار الصهيونية، وموارد هائلة، لذلك عمدت إلى التغلغل في الأوساط السياسية والدينية البريطانية لتحافظ على الدعم البريطاني الرسمي والشعبي للحركة الصهيونية، وفي المقابل فقد اهتمت بريطانيا بالحركة الصهيونية، لاستخدامها في حماية مصالحها المتعددة، وقد استغلت بريطانيا عدداً من المتغيرات الإقليمية والدولية، واتخذت مجموعة من الإجراءات القانونية، والسياسية، والاقتصادية، مستخدمة دبلوماسية عالية للتمهيد لوعد بلفور، وإقناع كل من فرنسا وأمريكا لدعم الوعد قبل صدوره، حيث كانت بريطانيا على قناعة أن منحها وعداً لليهود في فلسطين، سوف يخدم مصالحها على نطاق دولي أوسع، وبالفعل فقد صدر وعد بلفور في نوفمبر 1917م، وعقب الانتداب البريطاني على فلسطين، عملت بريطانيا على تهيئتها لإقامة الدولة اليهودية من خلال الدمج بين وعد بلفور وصك الانتداب، لتحول هذا النص إلى وثيقة دولية.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في أنها تدرس الدور البريطاني في دعم المشروع السياسي للحركة الصهيونية، كما تكمن أهمية الدراسة في أنها توضح طبيعة نشاط الحركة الصهيونية في بريطانيا، وأبعاد العلاقة بين الحركة الصهيونية وبريطانيا، التي ساهمت في كسب تعاطفها الحكومة البريطانية في دعم أهداف الحركة الصهيونية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توضيح علاقة المسيحية الأصولية في بريطانيا بظهور المشروع الصهيوني وتطوره، وكذلك الكشف عن دور قادة الحركة الصهيونية في الاتصال مع الأوساط السياسية البريطانية لبلورة المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، كما تهدف إلى توضيح موقف بريطانيا من الحركة الصهيونية.

أسئلة الدراسة:

تحقيقاً لأهداف الدراسة يسعى الباحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما طبيعة المشروع السياسي للحركة الصهيونية، وما أبرز أهدافها؟
- 2- ما أبعاد التحول في السياسة البريطانية تجاه الحركة الصهيونية؟
- 3- ما هو دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني في فلسطين، وإصدار وعد بلفور؟
- 4- ما دور بريطانيا في تثبيت الوجود اليهودي في فلسطين عقب وعد بلفور؟

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي.

حدود الدراسة:

– **الحدود المكانية:** تقتصر على دراسة نشاط الحركة الصهيونية في بريطانيا، ولأنها هي الدولة التي منحت اليهود الوعد بإقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين.

– **الحدود الزمانية:** اقتصر على الفترة ما بين عامي (1900م-1917م)، حيث شهد العام 1900م انعقاد المؤتمر الصهيوني الرابع في بريطانيا، وشهد العام 1917م إصدار وزير الخارجية البريطاني وعد بلفور، الذي أدى إلى اكتمال تبلور المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، وما بينهما من أحواد شهدت جولات وحوارات ما بين بريطانيا والحركة الصهيونية للتمهيد لتوطين اليهود في فلسطين.

المبحث الأول

المشروع السياسي للحركة الصهيونية:

بدأت الفكرة الصهيونية تتطور وتتجلى في إطار حركي؛ فقد نشأت في عام 1882م أول جمعية صهيونية تُدعى (عشاق صهيون)، وطرحت هذه الجمعية مسألة الهجرة إلى فلسطين ومسألة إحياء اللغة العبرية لتكون عوضاً من اللغة اليديشية لغة يهود أوروبا الوسطى، وبدأت جمعية "عشاق صهيون" بمحاولة شراء الأراضي الفلسطينية من الدولة العثمانية دون جدوى، رغم توسط شخصيات سياسية إنجليزية، غير أن الجمعية توصلت إلى تشكيل طليعة الهجرة الصهيونية الأولى إلى فلسطين، لكن الحركة الصهيونية ظلت تفتقر إلى التنظيم الشامل والخطة الفاعلة حتى قيام مؤتمر بازل في سويسرا عام 1897م برئاسة تيودور هرتزل، الذي أدى إلى تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية⁽²⁾.

أولاً: هرتزل وولادة الصهيونية:

اعتبر "تيودور هرتزل" في كتابه "الدولة اليهودية" أن معاداة اليهود مسألة أساسية في الحضارة الغربية لا مجال للتخلص منها، وأوضح أنه بالرغم من كون هذا العداء يشكل موروثاً غربياً ذا جذور تاريخية؛ إلا أنه في جوهره حالة من حالات الدفاع عن النفس بسبب كون اليهود قوة اقتصادية منافسة لنظيراتها في المجتمعات الغربية، حيث انتقد محاولة إقناع اليهود بالتوجه للعمل في قطاع اقتصادي منتج عن طريق توجيههم، من التجارة والربا، إلى الأعمال الزراعية بحيث يصبح اليهود فلاحين، وعَلَّ هرتزل ذلك بقوله أن هذا لن يزيل المشكلة لأن الطبقة الصاعدة في أوروبا هي العمال وليس المزارعين⁽³⁾، معتبراً أن حل المسألة اليهودية يكمن في إخراج اليهود من أوروبا ونقلهم إلى مكان ما في العالم في إطار المشروع الاستعماري الغربي، بعد ذلك بيّن أن هذا الحل له منافع كثيرة للمعذبين والمضطهدين في الأرض، وكذلك ستستفيد منه جهات عديدة؛ فلو قبل السلطان العثماني إعطاء فلسطين لليهود فإن الفوائد ستكون كثيرة لدولته حيث ستدفع قسماً من دينها العام، كما سيؤسس الصهاينة جامعة في إستانبول لإبعاد الشباب التركي عن التيارات الثورية في الغرب، وأخيراً فإن هجرة اليهود ستبعث القوة في الإمبراطورية العثمانية كلها، وهو مطلب ألماني إنجليزي في ذلك الوقت ضد الزحف الروسي⁽⁴⁾.

كما يرى هرتزل أن المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية، بل مسألة قومية لا يمكن حلها إلا من طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تكون تسويتها عبر الدول الكبرى مجتمعة، وذلك يتأتى بمنح اليهود رقعة من الأرض يقيمون عليها دولة قومية⁽⁵⁾، ولما أدرك هرتزل من خلال اتصالاته الفردية أن الاستعمار الغربي لا يتعامل مع أفراد وإنما يتعامل مع مؤسسات تمثل اليهود اقترح هرتزل إنشاء مؤسستين، جمعية اليهود (Society of The Jews)، والشركة اليهودية (Jewish Company)⁽⁶⁾، حيث تعمل الجمعية اليهودية على تنظيم اليهود وتعبئتهم، والشركة اليهودية تكون على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوروبية في آسيا وأفريقيا تقوم بتوطين المستعمرين اليهود واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها⁽⁷⁾، واقترح أن تقوم جمعية اليهود بالدور السياسي والدبلوماسي والتفاوضي مع الدول الأوروبية، أما الشركة اليهودية فستقوم بتصفية الأعمال التجارية لليهود المغادرين والعمل على تنظيم التجارة والأعمال المتعلقة بها في البلد الجديد، وستؤسس كشركة مساهمة تسجل في إنجلترا بموجب القانون الإنجليزي⁽⁸⁾.

ثانياً: المؤتمر الصهيوني الأول 1897م:

سعى هرتزل لعقد المؤتمر الصهيوني الأول في 1897/8/28، حضره مائتين وخمسين مندوباً، وكان "وليام هيكلر" من بين الحاضرين، ألقى هرتزل خطاباً في هذا المؤتمر دعا فيه اليهود لإنشاء منظمة صهيونية عالمية تسعى لإنشاء دولة

(2) عبد الرحمن، أسعد، المنظمة الصهيونية العالمية: البدايات والمؤسسات والنشاطات والصراعات 1882-1982، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، 1985م، ص19.

(3) هرتزل، تيودور، الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الزهراء للنشر، القاهرة، مصر، 1994م، ص4-17.

(4) المرجع السابق، ص24.

(5) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية دار النهضة العربية، القاهرة، 1975م، ص98.

(6) جريس، صبري، تاريخ الصهيونية، الجزء الأول: التسلسل الصهيوني إلى فلسطين 1917-1962، القدس، فلسطين، 1987م، ص148.

(7) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص98.

(8) هرتزل، تيودور، مرجع سابق، ص26.

اليهود تكفل لهم الأمن والاستقرار، ومن خلال هذا المؤتمر تم تأسيس المنظمة الصهيونية كإطار يضم اليهود الذين يقبلون البرنامج الذي أقره المؤتمر الصهيوني الأول في بازل وبهذا حوّل الصهيونية من مجرد فكرة إلى حركة ومنظمة تعمل من أجل إقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين⁽⁹⁾.

واتجه هرتزل بمشروعه يدق أبواب جميع الدول الاستعمارية، بما فيها أشد الحكومات معاداةً للسامية، فحاول أن يفاوض السلطان العثماني، والملك الإيطالي إيمانويل الثالث، وقيصر ألمانيا، والحكومة البريطانية. بل ووصل به الأمر إلى مفاوضة فياشسلاف فون بليهف وزير داخلية روسيا القيصرية ومدير إحدى أبشع المذابح ضد اليهود في الإمبراطورية الروسية عام 1903م⁽¹⁰⁾.

لقد قويت مكانة هرتزل بعد انتخابه رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، ونتيجة لذلك قابله الزعماء واستمعوا له، كما أن مركزه قوي بين الصهاينة واليهود، ومنذ ذلك الوقت ركّز هرتزل نشاطه على ثلاثة محاور هي⁽¹¹⁾:

- 1- تقوية المنظمة الصهيونية العالمية بواسطة المؤتمرات الصهيونية المتتالية التي عقدها، وأنشأ الأجهزة المكملة لها ودعمها.
- 2- الانتقال من بلد لآخر لمقابلة زعماء عصره وحملهم على تأييده في مساعيه للحصول على منطقة ما في العالم لإقامة دولة لليهود فيها، في فلسطين أو غيرها.
- 3- مواجهة المعارضة والانتقادات الداخلية.

بذل هرتزل جهداً واضحاً في تجميع عدد من الشخصيات اليهودية الصهيونية المؤثرة، وأخذ يتحرك على الصعيد الدبلوماسي علّه يتمكن من الحصول على موافقة إحدى الدول العظمى على إقامة دولة لليهود في فلسطين، لكنه فشل في إيجاد الدولة التي تقبل بهذه المهمة⁽¹²⁾، لذلك صرف النظر عن موقع الدولة اليهودية الاستيطانية في فلسطين، إذ فكر في إقامتها في شبه جزيرة سيناء، منطقة العريش، أو غندا، جزيرة قبرص، الكونغو البلجيكي، موزمبيق، العراق، ليبيا⁽¹³⁾، فقد كان العامل الرئيسي المؤثر في اختياره هو المصالح الإمبريالية ومدى موائمة الموقع المختار معها، ولم يحاول هرتزل إخفاء الطبيعة الاستعمارية لمشروعه الصهيوني، فمثلاً أثناء التفكير في أو غندا كموقع للدولة اليهودية كتب في رسالة لصديقه الحميم "ماكس نوردو" يقول إنه ينبغي على اليهود أن ينتهزوا الفرصة المواتية ليصبحوا إنجلترا صغيرة... لنبدأ بالحصول على مستعمراتنا أولاً، وبقوة هذه المستعمرات سنقوم بغزو وطننا، ولتكن الأرض التي تقع بين الكلمنجارو وكينيا أولى مستعمرات إسرائيل، وليكن هذا هو الأساس الذي يقف عليه صهيون⁽¹⁴⁾.

ثالثاً: محاولات هرتزل لتنفيذ مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين:

عُقد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن سنة 1900 في ذات الوقت الذي كان الفشل لا زال يلاحق هرتزل على الصعيد الدبلوماسي⁽¹⁵⁾؛ ومنذ ذلك الوقت توجه اهتمام هرتزل ورفاقه إلى بريطانيا، وحينما ألقى هرتزل كلمته في مؤتمر لندن أكد فيها على أنه "من هذا المكان ستصعد الحركة الصهيونية وتصعد إلى الأعلى، إنجلترا العظمى، إنجلترا الحرة، بعينها المثبتة على البحار السبعة ستقهما"⁽¹⁶⁾، وقد رافق هذا التحول في التوجهات الصهيونية تصاعد الهجرة اليهودية من روسيا وأوروبا الشرقية إلى بريطانيا، خاصة منذ عام 1881 حيث بدأت عمليات الاضطهاد ضد يهود روسيا بعد محاولة اغتيال القيصر هناك⁽¹⁷⁾، وكنتيجة لهذه الهجرة أبدت الأوساط الحكومية البريطانية انزعاجاً واضحاً تجاه المسألة، فشكّلت لجنة ملكية لتبحث

(9) الشيخ خليل، نهاد، دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني 1917-1900، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2003م، ص154.

(10) سلفا، لانس، "الصهيونية: المسيح الكاذب"، أمريكا: إنترناشيونال سوشاليست ريفيو، ربيع 1998م، ص10.

(11) الشيخ خليل، نهاد، مرجع سابق، ص154.

(12) المرجع السابق، ص160.

(13) المسيري، عبد الوهاب، الأيديولوجية الصهيونية، الجزء الأول، الكويت: عالم المعرفة، 1982م، ص143.

(14) المرجع السابق، ص144.

(15) Cohen, Stuart: English Zionists and British Jews The Communal Politics of Anglo Jewry 1895-1920, Princeton University Press, New Jersey, USA, 1982, p33.

(16) Lowenthal, Marvin (Editor): The Diaries of Theodor Herzl, The Dial Press, USA, 1962, p330.

(17) Endelman, Todd: The Jews of Britain 1656-2000, University of California Press, London, England, 2002, p 187.

الأمر، فاستدعت اللجنة هرتزل بتاريخ 4 يونيو 1902 للشهادة أمامها⁽¹⁸⁾، فاستغل هرتزل اللقاء وعرض أمام اللجنة رؤيته لحل المسألة اليهودية وقال: "إن مشكلة هجرة اليهود من شرق أوروبا لن تتوقف، فأين لهؤلاء اليهود أن يذهبوا؟ إن الحل الوحيد أن يوجد لهم وطن يعترف به قانونياً وشرعياً كوطنهم"، وكان أحد أعضاء اللجنة هو اللورد روتشيلد، وشغل تشامبرلين في ذلك الوقت منصب وزير المستعمرات، وأثر بلفور قد استلم رئاسة حكومة المحافظين، وبعد شهور قليلة من شهادته أمام اللجنة الملكية لشؤون الهجرة اجتمع هرتزل بتشامبرلين، وكانت تلك هي المقابلة الأولى بين صهيوني يهودي ومسئول بريطاني⁽¹⁹⁾، ويقوم مشروع هيرتزل العملي على خطوتين أساسيتين: أولهما، الحصول على وعد دولي بإعطاء اليهود أرضاً لبناء الدولة، والثاني، جمع الأموال من أثرياء اليهود لتثبيت دعائم هذا المشروع⁽²⁰⁾.

وكان هرتزل يأمل بأن وجود اليهود تحت رعاية العلم البريطاني وعلى بعد كيلومترات قليلة من فلسطين سيجعل من الأرض المقدسة بشكل تلقائي منطقة نفوذ بريطاني، مما سيهيئ لليهود القفز إليها في اللحظة المناسبة، ولم يكن تشامبرلين بعيداً عن ذلك التقدير، إذ إن تجزئة الدولة العثمانية في دوائر الإمبراطورية أصبحت مسألة وقت، ووجود اليهود على حدود فلسطين سيكون عاملاً مساعداً لضمها إلى ممتلكات الإمبراطورية، ولذا فقد قبل تشامبرلين الفكرة، ولكنه اشترط موافقة كرومر في مصر قبل أن يحاول الحصول على موافقة الحكومة⁽²¹⁾، حيث سارع هرتزل بإرسال مبعوثين لمقابلة كرومر في القاهرة ودراسة مشروع العريش معه، وأكد مبعوثو كرومر أن مصر ليست هدف الصهاينة، وأن فلسطين هي الهدف، ولكن كرومر أبدى فتوراً واضحاً تجاه المشروع، ورفضه رسمياً في مراسلاته مع لندن⁽²²⁾.

وعندما اجتمع تشامبرلين ثانية بهرتزل بعد عودته إلى لندن في 1903/3/24، عرض عليه فكرة الاستيطان في أوغندا⁽²³⁾، وفي اليوم التالي للقاء ذاعت أنباء مذبحة يهودية في روسيا، كما تأكد فشل مشروع العريش، وفي نهاية العام عقد المؤتمر الصهيوني السادس في بال، ورفض الحاضرون بأغلبية كبيرة خطة الاستيطان في شرق أفريقيا، كما اتهموا هرتزل بخيانة المشروع الصهيوني⁽²⁴⁾.

رابعاً: أهداف الحركة الصهيونية:

الحركة الصهيونية هي حركة ديناميكية نشطة تقوم على أساس الترابط المستمر بين أهداف الماضي وأعمال الحاضر ومخططات المستقبل، إذ قامت على فلسفة تستمد أصولها من الفكر اليهودي الذي يتغير حسب الظروف والأحوال، وكلما اقتضت الضرورة⁽²⁵⁾، وهي حركة ليست دينية لأنها تضم عدة اتجاهات، إذ أنها تضم أحزاب دينية مثل حزب "أغودات إسرائيل" _ أصبح لاحقاً اسمه "يهودات هتوراه" باندماجها مع أحزاب دينية أخرى "ديغل هتوراه" و"موريا" _، وهناك أحزاب معادية للدين مثل الحزب الشيوعي، وحركات علمانية مثل الرابطة الإسرائيلية لليهود العلمانية والحركة الإصلاحية، كذلك فإن الحركة الصهيونية هي ليست حركة قومية لأنها تعمل على هجرة جميع يهود العالم إلى فلسطين المحتلة بغض النظر عن قوميتهم، كاليهود السوفيت والهنود والأثيوبيين والفلاشا وغيرهم، وهؤلاء جميعهم ليست لهم قومية واحدة⁽²⁶⁾.

تُعبر الصهيونية عن حركة سياسية عالمية منظمة متمثلة في "إسرائيل" تقوم على مبادئ الاستغلال والعدوان وتستند إلى فكرة التوسع والسيطرة وتستخدم وسائل العنف في تحقيق أهدافها لإقامة (إسرائيل الكبرى)، التي تمتد من النيل إلى الفرات مستقبلاً، والهدف الاستراتيجي الآخر، هو أن تكون "الدولة الرائدة" والمتقدمة لحماية مصالح الدول العظمى في المنطقة العربية، من خلال التعاون المشترك معها، وتعمل أيضاً على دفع اليهود إلى الهجرة لفلسطين، وطرد الشعب الفلسطيني من أرضه، ولذلك فالصهيونية توصف بأنها حركة استيطانية، كما تعمل الصهيونية على إذكاء روح التعالي لليهود على اعتبار

(18) Lowenthal, Marvin (Editor): Op.Cit, p) 361.

(19) الشيخ خليل، نهاد، مرجع سابق، ص 162-163.

(20) الحارتي، إبراهيم، من بابل إلى بوش، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 2005م، ص 152.

(21) الخولي، حسن، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1973م، ص 90.

(22) Vital, David: The Origins of Zionism, Clarendon Press, Oxford, Great Britain, 1975, p 149.

(23) الخولي، حسن، مرجع سابق، ص 97.

(24) الشيخ خليل، نهاد، مرجع سابق، ص 164.

(25) العزاوي، خليل، الأهداف والأساليب الاقتصادية للصهيونية العالمية ومواجهتها، مجلة دراسات الشرق الأوسط، العدد الخامس، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1998م، ص 9.

(26) السعدي، قاسم، الدعاية السياسية للحركة الصهيونية وابعادها الاستراتيجية، مجلة اتجاهات سياسية، العدد الثالث، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، آذار/مارس 2018م، ص 56.

أن اليهود (شعب الله المختار)، وتفضيلهم على الشعوب الأخرى وعليه؛ فهي ذات طبيعة عنصرية، وتعمل أيضاً على تحقيق أهدافها الاستيطانية-الاستعمارية من خلال الإرهاب لتثريد الشعب الفلسطيني من جهة ودفع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين من جهة أخرى، ولذا فإن سمة الصهيونية تتمثل بكونها حركة إرهابية⁽²⁷⁾.

استطاع هر تزل تجسيد أفكاره في مؤتمر بازل، حيث وضع برنامجاً شاملاً حدد فيه أهداف الحركة الصهيونية، وذكر بأن غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام⁽²⁸⁾، وتلخصت أهداف الحركة الصهيونية كما يراها هر تزل في النقاط الآتية⁽²⁹⁾:

- 1- إيجاد وطن قومي لليهود، باعتبارهم شعباً تنوفر فيه المقومات الأساسية للقومية؛ وهي اللغة، والتاريخ، وسيادة قومية على إقليم معين.
- 2- إنشاء دولة يهودية في فلسطين مهمتها حل المشكلة اليهودية، وتأمين سلامة اليهود المنتشرين في جميع أنحاء العالم.
- 3- العمل على الاستيلاء على الأراضي التي ستقام عليها الدولة اليهودية؛ ولو بالقوة لاستيطان اليهود عليها، وضمن المخطط العام.
- 4- توطئ المزارعين والفنيين والصناعيين اليهود في فلسطين بكل الطرق الممكنة؛ لتملك الأراضي الزراعية، ونشر الزراعة اليهودية، والاستيلاء على البلاد بطريقة الشراء.
- 5- تنظيم جميع اليهود في العالم وربطهم برباط قوي، وتقوية الروح القومية والشعور القومي بينهم.
- 6- العمل على توطئ دعائم الدولة اليهودية في فلسطين كمنطلق لتحقيق الأحلام للسيطرة على العالم.
- 7- جمع التبرعات؛ وخاصة من اليهود الأثرياء لإنشاء "الصندوق القومي اليهودي" أو "الكارن كايميت".

أما عن كيفية تحقيق تلك الأهداف، فقد حددها مؤتمر بازل على النحو الآتي⁽³⁰⁾:

- 1- العمل على استعمار فلسطين بوساطة الزراعيين والحرفيين والعمال.
 - 2- تنظيم الجاليات اليهودية عبر جمعيات صهيونية محلية تابعة للمنظمة الصهيونية العالمية.
 - 3- تغذية الوعي القومي لدى اليهود لتيسير هجرتهم إلى فلسطين.
 - 4- كسب ثقة الدول الكبرى حتى توافق على تنفيذ هدف الصهيونية.
- سعت الحركة الصهيونية وما تزال إلى تحقيق عدة أهداف كوسائل لبلوغ غايتها الاستراتيجية، المتمثلة في إقامة (إسرائيل الكبرى)، وتتمثل تلك الأهداف فيما يلي:
- 1- أهداف سياسية: تتمثل بالتغلغل في الأوساط السياسية وكسب دعم الدول العظمى، وتأمين تأييد مراكز صنع القرار فيها؛ لتحقيق غاية الحركة الصهيونية لجعلها أدوات سياسية لتحقيق غاية الحركة الصهيونية متمثلة في العمل على تثبيت الوجود الصهيوني في فلسطين⁽³¹⁾.
 - 2- أهداف عسكرية: وتتمثل بالعمل على إعداد جيش يهودي قوي مزود بأحدث الأسلحة لضمان تفوقه حتى يتسنى تحقيق أهداف الحركة الصهيونية في التوسع والاستيطان⁽³²⁾.
 - 3- أهداف اقتصادية: من خلال السيطرة على الاقتصاد العالمي بعدة طرق منها الابتزاز والاحتكار، وهذا ما أكد عليه البروتوكول السادس: "سنشرع فوراً في إقامة احتكارات ضخمة، ومستودعات هائلة للثروة"⁽³³⁾.

(27) القتلاوي، سهيل، الصهيونية حركة استعمارية استيطانية توسعية، مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع، مطبعة عصام، بغداد، 1990م، ص63-

64.

(28) الدجني، يحيى، تحدي الحركة الصهيونية للقرى العربية والإسلامية، دار النمير، دمشق، 1985م، ص26.

(29) الحارتي، إبراهيم، مرجع سابق، ص130.

(30) دول، عصام، المفكرون الأوائل للصهيونية، شبكة أمد للإعلام، (2021/11/30)، <https://cutt.us/rmSER>

(31) السعدي، قاسم، مرجع سابق، ص55.

(32) الهراوي، عبد السميع، الصهيونية بين الدين والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م، ص69.

(33) أحمد، رياض، الصهيونية العالمية، نشأتها وطبيعتها، الدار العالمية للنشر والتوزيع، بيروت، 1983م، ص102.

4- أهداف روحية: وتتمثل بالقضاء على الأديان، ففي ذلك يقول التلمود: "إذ أن المسيح كذاب وحيث أن محمد اعترف به والمعترف بالكذاب كذاب مثله فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأول"⁽⁶⁴⁾.

إن الحركة الصهيونية ليست ذات أهداف اجتماعية فهي تعمل على إنشاء القوى الاشتراكية "الكيبوتز"، وإلى جانبها الملكيات الخاصة والإقطاعية القائمة على أسس الاحتكار والاستغلال، فالغرض من عدم الاعتماد على نظام اجتماعي معين هو استيعاب جميع المهاجرين الذين يأتون من دول ذات أنظمة اجتماعية مختلفة بحيث يجد المهاجر المجتمع الذي تعود عليه في بلده الأصلي مما يساعده على الاندماج والاستقرار⁽⁶⁵⁾.

(34) العزاوي، خليل، حرب الخليج ومخططات الصهيونية العالمية (العولمة) والإقليمية (النظام الشرق أوسطي)، مجلة شؤون الأوسط، العدد الرابع، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1997م، ص 19.

(35) القتلاوي، سهيل، مرجع سابق، ص 60-61.

المبحث الثاني

التحولات في السياسة البريطانية تجاه الحركة الصهيونية:

تعود بدايات الاهتمام البريطاني بمسألة إعادة اليهود إلى فلسطين، تاريخياً إلى القرن السابع عشر، عندما قامت جماعة دينية تُسمى ("البيورتان" Puritanism) بالثورة، ونجحوا من خلالها في التحكّم في شؤون إنجلترا، حيث طالبوا خلال تلك الفترة بإعادة اليهود إلى فلسطين⁽³⁶⁾، وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تزايد الأهمية الاستراتيجية لفلسطين إثر شق قناة السويس، والاحتلال البريطاني لمصر، ودخول الإمبراطورية العثمانية دور الاحتضار، وتعاظم التنافس الاستعماري البريطاني-الفرنسي-الألماني-الروسي في المشرق العربي، وفي هذه المرحلة تزايدت الكتابات البريطانية حول أهمية "فلسطين اليهودية" للمصالح البريطانية، ويؤسس صندوق اكتشاف فلسطين عام 1865م، ويبدأ سلاح الهندسة البريطاني عمليات مسح شاملة لأراضي فلسطين وشرق الأردن وسيناء⁽³⁷⁾.

أولاً: البعد الديني في التحالف البريطاني الصهيوني:

شهدت إنجلترا في القرن التاسع عشر نهضة دينية تعود مبادئها ومعتقداتها لتلك التي كانت سائدة في عهد الثورة البوريتانية، ويُعد اللورد شافتسبري من الشخصيات البارزة التي أسست للفكر الصهيوني في بريطانيا، وطالبت بتوطين اليهود في فلسطين؛ ويرجع ذلك لتعلقه الشديد بالعهد القديم، وتعاطفه مع اليهود، بالإضافة إلى تعلمه اللغة العبرية، واعتبر شافتسبري أن اليهود أداة لتحقيق النبوءة التوراتية، وأن توطينهم سيساعد في قدوم المسيح⁽³⁸⁾، ورأى شافتسبري أن بعث اليهود لا يمكن أن يتم إلا في فلسطين، كما أن عودتهم إليها أمر ضروري حتى تبدأ سلسلة الأحداث التي ستؤدي إلى العودة الثانية للمسيح وخلص البشر، مع ضرورة توفير حماية بريطانية لليهود المقيمين في الدولة العثمانية⁽³⁹⁾.

كما دفعت الأفكار البروتستانتية نحو تجميل صورة اليهود والتعاطف معهم، كما جاء في كتاب مارتن لوثر "المسيح ولد يهودياً"، كذلك أفكار الفرنسي جون كالفن التي ساهمت برفع شأن اليهود ومعتقداتهم التوراتية في أوروبا بنشوء الجماعات الطهورية أو التطهيرية شديدة المحافظة على التقاليد العبرانية التي تعتبر اليهود جزءاً هاماً من خطة قدرها الرب بصفتهم شعب الله المختار في أرضهم المختارة "كنعان الجديدة"، أيضاً شكّلت "التنبؤات المستقبلية" أبرز القواسم المشتركة لمعتقدات البروتستانت واليهود، ومنها تحقيق نبوءة اختيار الله لشعبه لسكنى الأرض المقدسة (أرض الميعاد، الأرض الموعودة) التي وعد الله بها إبراهيم عليه السلام⁽⁴⁰⁾، ورفع شافتسبري شعار (وطن دون شعب لشعب دون وطن)، وأقنع بالمرستون وزير الخارجية البريطاني عام 1830 بأهمية فلسطين الاستراتيجية ومدى ارتباطها بالخطط الاستعمارية، بالإضافة إلى ضرورة فتح قنصلية بريطانية في القدس لحماية اليهود، كما قدّم شافتسبري عام 1940 وثيقة لبالمرستون طالبه فيها بإرجاع اليهود إلى فلسطين، وحل المسألة الشرقية⁽⁴¹⁾.

كما التقت المعتقدات البروتستانتية مع المعتقد اليهودي حول هيكل سليمان؛ إذ يؤمن البروتستانت المتهودون بإعادة بناء الهيكل الذي يُعجل بقدوم المسيح، واليهود بدورهم يعتقدون أن الإله يهودا قد غضب عليهم جراء هدم الهيكل في القدس، وهم بذلك مغتربون في هذا العالم، ولن يتخلصوا من اغترابهم إلا برضى الإله بإعادة بناء الهيكل، بذلك مثلت السيطرة على القدس ولا سيما المسجد الأقصى واجباً دينياً مقدساً⁽⁴²⁾، وقد ساهم برفد ذلك نشوء عدة جمعيات بريطانية مسيحية منذ مطلع القرن التاسع عشر تعنى بإعادة اليهود إلى فلسطين، أشهرها جمعية التوراة، وجمعية فلسطين وجمعية لندن للتبشير بالمسيحية بين اليهود، وجميعها رأت في تحقيق ذلك الهدف واجباً بريطانياً تجاه اليهود، بل فسرت الحروب الصليبية كمقدمة لهذا الواجب، وبذلك وظفت الصهيونية السياسية تلك المعتقدات في تعاملها وحججها مع الآخرين منذ نشوئها، باعتبارها جزءاً من الثقافة اليهودية التي روج لها رجال الدين اليهود، وهذا الحاخام شلومو غورين يؤكد العلاقة العضوية بين المعتقدات وفلسطين

⁽³⁶⁾ Hyamson. Albert, M, Palestine Under Mandate 1920-1948, Greenwood Press, London, 1976, p1.

⁽³⁷⁾ دروزة، الحكم، ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، بيروت، 1973م، ص15.

⁽³⁸⁾ حرب، إسلام، نشاط الحركة الصهيونية في بريطانيا (1897-1948)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2017م، ص16.

⁽³⁹⁾ الشيخ خليل، نهاد، مرجع سابق، ص130.

⁽⁴⁰⁾ الروسان، محمد علي، التحالف البريطاني الصهيوني الطريق إلى اغتصاب فلسطين، المجلة السياسية والدولية، العدد 20، الجامعة المستنصرية، 2012م، ص115.

⁽⁴¹⁾ حرب، إسلام، مرجع سابق، ص17.

⁽⁴²⁾ السباتين، راجح، المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2007م، ص105.

بقوله: "إنه لا يمكننا الفصل بين أرض إسرائيل وتعاليم اليهودية"⁽⁴³⁾، تلك المعتقدات شكلت أحد ركائز المبررات البريطانية في توطين اليهود كتعبير عن الوحي الإلهي القديم بعودة اليهود إلى فلسطين، وكوسيلة لتطوير حياة أهل الشرق واستثمار أراضي فلسطين البور بأموال اليهود، وترسيخ النفوذ البريطاني على طريق الهند، وقد عبّر عن ذلك "الفنت لورنس" في كتابه (أرض جلعاد) الذي يؤكد فيه: "أن تأسيس الوطن اليهودي في فلسطين برعاية بريطانية إنما هو خدمة سياسية وعسكرية لبريطانيا مثلما هو خدمة إنسانية للعالم"⁽⁴⁴⁾.

وبذلك يُعتبر العامل الروحي أو الديني عنصراً مهماً وفعالاً ونستدل عليه مما ذكره حايم وايزمان في كتابه "التجربة والخطأ" الذي صدر عام 1949م، وأهم ما جاء في هذا المجال قوله: "لم يخطر على بال بعضهم أن رجالاً من أمثال بلفور وتشيرشل ولويد جورج كانوا متدينين في أعماق قلوبهم، ومؤمنين بالتوراة، ويعتقدون أن عودة اليهود إلى فلسطين واقعية وحقيقية، لذلك فإنهم جعلوا ينظرون إلينا نحن الصهيونيين ممثلين لفكرة يحترمونها احتراماً عظيماً"⁽⁴⁵⁾.

يتضح مما سبق أن العديد من الشخصيات البارزة في بريطانيا وغيرها، لعبت دوراً بارزاً في دعم الحركة الصهيونية، من خلال نشر أفكارهم عبر كتاباتهم، بالاستناد إلى العامل الديني والمعتقدات البروتستانتية مستغلين ظهور ما يعرف بالصهيونية المسيحية وانتشارها في بريطانيا، في مطالبة الحكومة البريطانية بضرورة تبني الأفكار الصهيونية، والعمل على تحقيقها، وكذلك الدعوات المستمرة لتوطين اليهود في فلسطين، وقد استثمر زعماء الحركة الصهيونية اليهود تلك الدعوات والمساندة البريطانية في تحقيق أهدافهم السياسية والاستيطانية للاستيلاء على فلسطين، مستغلين الغطاء الديني والتاريخي من خلال الجمع ما بين العهدين القديم والجديد؛ فأصبحت معتقدات اليهود ضمن معتقدات البروتستانت، وبذلك أصبحت بريطانيا دولة حاضنة للحركة الصهيونية، ومتبنية أفكارها ومشروعها الاستيطاني.

ثانياً: البعد الاقتصادي في التحالف البريطاني الصهيوني:

بدأ النشاط البريطاني الاستعماري في مرحلة مبكرة بتصدير المبشرين والتجار والرحالة والمغامرين إلى فلسطين والبلدان العربية، ليمهدوا الطريق لمصالحها ونفوذها، وعلى هذا الأساس نمت بذور الصهيونية في تربة الأطماع الأوروبية في الشرق عبر التعاون بين اليهود وبعض الحكومات الأوروبية، ولما كانت لندن مركزاً مالياً للحركة الصهيونية فقد استثمره الأثرياء اليهود الذين ارتبطوا بعلاقات خاصة مع النخبة السياسية الانجليزية، ومع المصلحة الاستعمارية البريطانية في قناة السويس، لتأمين الطريق إلى الهند وتحقيق الأطماع في مصر وفلسطين⁽⁴⁶⁾.

فالوضع الاقتصادي لليهود في بريطانيا مكنهم من نسج علاقات مباشرة وقريبة من النخبة السياسية في نهاية القرن التاسع عشر، حيث امتدت لبناء علاقات ود وصداقة مع الملك إدوارد، وكذلك مع آرثر بلفور زعيم حزب المحافظين، واحتلوا موقعاً مؤثراً اقتصادياً في النظام المالي الدولي، وسيطرة المال اليهودي خلال الحرب العالمية الأولى على الاقتصاد البريطاني، وفوق ذلك تمكن اليهود من دخول حزب المحافظين وحزب العمال البريطاني؛ وصار من الممكن خلال الحرب العالمية الأولى أن يصبح اليهودي رجلاً انجليزياً من النخبة⁽⁴⁷⁾.

وبذلك مثلت الجذور والمقدمات التاريخية الدينية وتلازمها مع المصالح الاستراتيجية الاستعمارية رافداً لظهور ونشوء الصهيونية السياسية في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر بين يهود وسط أوروبا، بحيث عمدت إلى إحياء العقيدة والتقاليد الثقافية اليهودية التي تؤكد ما جاء في التوراة حول فكرة (أرض إسرائيل)، ومن هنا كان معظم الذين استوطنوا فلسطين منحدرين من الصهيونية التي نشأت في أوروبا القرن التاسع⁽⁴⁸⁾.

ثالثاً: دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني في فلسطين:

(43) الروسان، محمد علي، مرجع سابق، ص 115-116.

(44) حرب، إسلام، مرجع سابق، ص 16-17.

(45) شكري، محمد، البعد الدولي للقضية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، 1990م، ص 11.

(46) الروسان، محمد علي، مرجع سابق، ص 116.

(47) Rubinstein, W.D, The Left. The Right and The Jews, Croom Helm & Canberra, London, 1982, p5-13.

(48) Rabkin, Yakov M, A Threat from within: A Century of Jewish Opposition to Zionism, Fernwood Publishing, 2ed Books Ltd. London, 2006, p135.

منذ بداية القرن التاسع عشر ظهرت في كل من فرنسا وبريطانيا في آن واحد تقريباً فكرتان رئيسيتان وهما⁽⁴⁹⁾:

- استغلال اليهود كأحدى أدوات التوسع الاستعماري في الوطن العربي.

- ظهور الدعوة لتوطين اليهود في فلسطين لغايات اقتصادية، وسياسية، واستعمارية.

لذلك بدأ هذا التنافس الاستعماري يُترجم إلى أفكار وأعمال على الأرض، من خلال مساعي اللورد اشلي حينما كثف جهوده ومساغبه لدى المرستون_وزير الخارجية البريطاني لحمله على العمل رسمياً لتحقيق إعادة اليهود إلى فلسطين⁽⁵⁰⁾، كما حدد الزعيم اليهودي الصهيوني "ناحوم سوكلوف" العلاقة الوثيقة بين أعمال المسح التي قام بها صندوق اكتشاف فلسطين واشترك فيها أناس مثل "لورد كيتشنر ولورنس"، وبين تزايد النشاط الصهيوني ثم تبني بريطانيا لمشروع تهويد فلسطين فيقول: "هؤلاء الرجال الذين جعلوا الاستكشاف العلمي لفلسطين لسنوات من الزمن؛ غايتهم الوحيدة قد أكدوا أن الزمن قد حان أخيراً لإعادة بقايا صهيون، وهذه الشهادات من قبل الخبراء الانجليز بصدد فلسطين شجعت أحياء صهيون في إنجلترا"⁽⁵¹⁾.

استغلت بريطانيا عدداً من المتغيرات الإقليمية والدولية للوصول إلى أهدافها وأهمها فكرة القومية، وكذلك فكرة أن المسيح لن يعود إلا بعودة اليهود إلى وطنهم، حيث دعت بريطانيا اليهود من خلال الحركة الصهيونية للهجرة إلى أرض الميعاد⁽⁵²⁾، فكان العامل الاستعماري (المصلحي) أي مصلحة بريطانيا في دعم الصهيونية، من أعظم الأدوار في تحطيم الدولة العثمانية، حيث إن المحرك الرئيس لسياسات الدول العظمى هي مصالحها التجارية، والأمنية، والسياسية، لذلك فإن بريطانيا بتوجهها هذا تخدم مصالحها بالدرجة الأولى⁽⁵³⁾.

إن المشروع الاستعماري البريطاني الذي انطلق في عام 1840م هو الذي أدى في النهاية إلى قيام "إسرائيل"، حيث اتخذت بريطانيا العظمى مجموعة من الإجراءات القانونية، والسياسية، والاقتصادية، مستخدمة دبلوماسية عالية للتمهيد لوعده بلفور، فالدبلوماسية البريطانية نجحت في إقناع كل من فرنسا وأمريكا لدعم الوعد قبل صدوره، الأمر الذي كان له انعكاسات إيجابية ليس فقط على إخراجها إلى حيز الوجود، بل إلى التأثير على مجريات الحرب العالمية الأولى عندما دعت أمريكا بريطانيا في الحرب العالمية الأولى⁽⁵⁴⁾.

ظهر لورانس أوليفانت_ وهو صحفي بريطاني مؤيد للصهيونية_ الذي دعا الحكومة البريطانية لتوطين اليهود في فلسطين برعاية بريطانية وتمويل خارجي؛ لوضعهم حاجزاً بشرياً يمنع توسع روسيا في الدولة العثمانية⁽⁵⁵⁾، وسافر أوليفانت إلى فلسطين؛ لإجراء دراسة مفصلة حول ظروف الاستيطان فيها، ومفاوضة الحكومة العثمانية؛ للحصول على أرض صالحة لاستيطان اليهود فيها⁽⁵⁶⁾، كما قام شافيتسيري بعدة محاولات لتطبيق أفكاره لدعم الحركة الصهيونية، فتحدث مع المرستون أيضاً عن استخدام اليهود كراس حرب لبريطانيا في المنطقة العربية، ونتيجة لإلحاح شافيتسيري قام بالمرستون بافتتاح قنصلية في القدس تتولى مهمة مقاومة مصالح الدول الأوروبية الأخرى، وكذلك حتى توفر بريطانيا الحماية للأقلية اليهودية؛ فقد كانت فرنسا تحمي الكاثوليك في لبنان، وروسيا تحمي الأرثوذكس في فلسطين⁽⁵⁷⁾، وتم تعيين وليام يونج قنصلاً في فلسطين لتقديم الحماية لليهود وللطوائف المسيحية⁽⁵⁸⁾، كما شجع أوليفانت البارون روتشيلد على تبني المستوطنات القائمة في فلسطين وإدخالها تحت إدارته، ودعمها بالمال، وفي عام 1888، نشر أوليفانت كتاباً بعنوان (أرض جلعاد)، اقترح فيه إقامة مستوطنات

(49) شكري، محمد، مرجع سابق، ص5.

(50) المرجع السابق، ص183.

(51) Sokolow, Nahum, History of Zionism 1600-1918, Long mans, Green And Co, London, 1919, p230-231.

(52) نوفل، ساجدة، البعد الديني للصراع العربي الصهيوني (الدولة اليهودية: دراسة حالة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، 2018م، ص90.

(53) شكري، محمد، مرجع سابق، ص11.

(54) عمرو، نعمان، دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني في فلسطين منذ عام 1917 – 1922، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الثاني والأربعون، 2017م، ص245.

(55) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، الطبعة الخامسة، دار الشروق، القاهرة، 2009م، ص257.

(56) حرب، إسلام، مرجع سابق، ص17.

(57) محمود، أمين، الصهيونية فكرة ودولة في كتابات أحاد هعام، مؤنة للبحوث والدراسات، جامعة مؤنة، عدد 1، مجلد 2، حزيران 1987م، ص18.

(58) السماك، محمد، الصهيونية المسيحية، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2000م، ص44.

يهودية تحت السيادة العثمانية والحماية البريطانية⁽⁵⁹⁾، وهكذا تمكنت بريطانيا من تقديم الحماية لأي يهودي دون التثبيت من أصله، وقد وافق الروس بين عامي 1847 و 1849 على أن يقوم الإنجليز بحماية اليهود الروس⁽⁶⁰⁾.

كان الدافع الثاني لبالمستون في اعتناقه لمشروع شافيتسيري، هو حرصه على أن يجعل من فلسطين عازلاً بين مصر والشام، فمند تولى محمد علي لحكم مصر واستقراره فيها، وبعد أن أظهر إمكانية تحويلها إلى قوة رئيسة في المنطقة العربية، أصبح ضرورياً للسياسة البريطانية، الحريصة على استمرار الأمر الواقع، أن تمنع مصر تحت حكم محمد علي أو أيًا من خلفائه من إعادة الكرة إلى الشام، أما الدافع الثالث فكان اعتقاد بالمستون أن تدخل بريطانيا لحماية اليهود في فلسطين سيجعل لها دوراً موازياً للدور الفرنسي في حماية الكاثوليك والدور الروسي في حماية الأرثوذكس، وذلك حتى يحين وقت التقاهم الدولي النهائي على مستقبل الدولة العثمانية⁽⁶¹⁾.

خلال منتصف القرن التاسع عشر أصبحت فلسطين محط أنظار واهتمام الحركة الصهيونية، وقد تعاطفت بريطانيا العظمى الإنجليكانية مع اليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، فكان انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بمدينة بازل في سويسرا عام 1897م، بمثابة الإعلان الأول لإنشاء دولة لليهود في فلسطين، وبرز ذلك واضحاً في أهداف المؤتمر، والتي كان أهمها خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمه القانون العام⁽⁶²⁾، وعلى أثر انفضاض مؤتمر المؤتمر الصهيوني الأول في سويسرا، وقف "ثيودور هرتزل" يلخص رؤياه لذلك المؤتمر قائلاً: "لو أردت أن أخلص مؤتمر بال بكلمة واحدة لقلت: في بال أرسيت أسس الدولة اليهودية"⁽⁶³⁾.

بعدما أدركت الحركة الصهيونية أهمية بريطانيا التي كانت تشغل مركز الثقل العالمي في بداية القرن التاسع عشر، لذلك شغلت بريطانيا موقعاً محورياً في المشروع الصهيوني منذ ما قبل وعد بلفور عام 1917، باعتبار أنها ستكون المنصة التي ستطلق منها لتنفيذ مشروعها، لما تملكه من قاعدة بروتستانتية داعمة للأفكار الصهيونية، وموارد هائلة فمستعمراتها من أغنى المستعمرات والجنه الانجليزي الاسترليني أقوى عملة في ذلك الوقت، وأساطيلها التجارية والحربية تجوب المحيطات وبحار العالم، وجيوشها أضخم الجيوش وأقواها دون منازع، لذلك عمدت إلى التغلغل في الأوساط السياسية والدينية البريطانية لتحافظ على الدعم البريطاني الرسمي والشعبي للحركة الصهيونية⁽⁶⁴⁾.

توجه "ثيودور هرتزل" إلى الحكومة البريطانية عام 1902م، ودخلت المنظمة الصهيونية في مفاوضات مع الحكومة البريطانية لاستيطان العريش في سيناء كخطوة تمهيدية للقفز فيما بعد إلى فلسطين، وفشل المشروع بسبب معارضة الحكومة المصرية، إزاء ذلك عرضت الحكومة البريطانية على المنظمة الصهيونية عام 1903م استيطان شرق أفريقيا كحل مؤقت، وقيل المؤتمر الصهيوني السادس هذا العرض، ولكن موت هرتزل في العام التالي ومعارضة اليهود الروس وإصرارهم على فلسطين أفضل المشروع، ومنذ فشل مشروع العريش وأوغندا حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى؛ انصرفت الحركة الصهيونية إلى تنفيذ قراره مؤتمراً بال الأساسيين بصدد استكمال التنظيمات الداخلية للمنظمة الصهيونية، وتنمية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين⁽⁶⁵⁾.

أخفق هرتزل في الحصول على تعهد من الدول العظمى بمنح فلسطين للصهاينة، وعقب وفاته عام 1904، تخلى المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905 عن وجهة نظر هيرتزل القائلة بالحصول على تعهد من القوى العظمى لمنح فلسطين للصهاينة، وتبنى وجهة نظر الصهيونيين العمليين القائلة باستقدام المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين وإنشاء المدارس والمصانع، وذلك بشكل تدريجي منظم دون انتظار الحصول على ميثاق دولي، وبذلك وقع تنظيم الهجرة الثانية بين (1905-1914)، وكان من أبرز قادتها ديفيد بن غوريون، وقد أدت هذه الهجرة إلى ارتفاع عدد الصهاينة في فلسطين من خمسين ألف نسمة في عام 1897 إلى خمسة وثمانين ألفاً في عام 1914، من بينهم اثنا عشر ألف مهاجر يقطنون في المستعمرات الزراعية⁽⁶⁶⁾.

(59) حرب، إسلام، مرجع سابق، ص 17.

(60) الشيخ خليل، نهاد، مرجع سابق، ص 131.

(61) محمود، أمين، مرجع سابق، ص 22.

(62) الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط 10، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990م، ص 23-24.

(63) دروزة، الحكم، مرجع سابق، ص 12.

(64) التميمي، نواف عبد الحي، اللوبي الصهيوني في بريطانيا: النشأة والنشاط، مجلة سياسات عربية، العدد 21، 2016م، ص 60.

(65) دروزة، الحكم، مرجع سابق، ص 18.

(66) مرسي، علي رؤوف، أثر رواد المفكرين في الكيان الصهيوني، مجلة المستقبل، يوليو 1968م، ص 103.

لكن الأمور لم تستمر طويلاً على هذا المنوال؛ إذ أن لقاء هرتزل بنتشامبرلين ودخول الحركة الصهيونية اليهودية إلى بريطانيا؛ جعل مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين يقف على قواعد قوية، لأن فئة من اليهود الصهاينة دخلت بريطانيا، وبالتالي حدث لقاء حقيقي وفعلي بين الطموحات الإمبريالية والتوجه اليهودي الصهيوني، فقد كان المدافعون عن وجهة النظر الصهيونية ينتشرون في دوائر الحكومة البريطانية، حتى أن اللورد كتشنر الذي سرعان ما تولى مسؤولية وزارة الحرب نفذ صبره من سياسة الانتظار تجاه الدولة العثمانية وأصبح يدعو صراحة لاحتلال فلسطين فوراً، لتأمينها كجبهة أمامية للموقع البريطاني في مصر وكجسر إلى الشرق⁽⁶⁷⁾.

عام 1905 دعا حزب المحافظين البريطاني إلى عقد مؤتمر سري يهدف إلى إيجاد آلية تحافظ على تفوق ومكاسب الدول الاستعمارية إلى أطول أمد ممكن، وقدم فكرة المشروع لحزب الأحرار الحاكم آنذاك، حيث كان يرأس الحكومة وقتذاك "هنري كاميل بنرمان" (Henry C. Bnrman)، وبموجب ذلك انعقد المؤتمر الذي ضمّ الدول الاستعمارية في ذلك الوقت، واستمرت مناقشات وجلسات المؤتمر لمدة سنتين، وفي نهاية المؤتمر عام 1907، خرج المشاركون في المؤتمر بوثيقة سرية أسموها (وثيقة كامبل)، نسبة إلى رئيس الوزراء البريطاني، ولتحقيق ذلك الهدف دعا المؤتمر إلى إقامة كيان في فلسطين، يكون بمثابة حاجز بشري قوي وغريب ومعادي، على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل -في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس- قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها؛ وتضمن ضعف المنطقة وتمنع وحدتها، بحيث يفصل هذا الكيان الجزء الأفريقي من المنطقة العربية عن القسم الآسيوي منه، للحيلولة دون تحقيق وحدة الشعوب العربية⁽⁶⁸⁾.

(67) سليم، محمد عبد الرؤوف، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة 1914-1918، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1971م، ص226.

(68) صالح، محسن، وثيقة كامبل بنرمان.. حقيقة أم مزيفة؟!، شبكة الجزيرة الإعلامية، (2017/9/12)، <https://cutt.us/aWgoa>

دور بريطانيا في تمكين الحركة الصهيونية في فلسطين:

أسهم ضعف الدولة العثمانية، التي كانت فلسطين تحت حكمها خلال الفترة (1516م-1917م) وسعي الدول الغربية لتقاسم أراضيها، إلى بروز أجواء عملية أفضل لتأسيس المشروع الصهيوني، إذ كانت هناك رغبة غربية بمليء الفراغ الذي سينتج عن سقوط الدولة العثمانية، ومنع نهوض قوة إسلامية كبرى تخلف العثمانيين.

أولاً: دور حاييم وايزمان في استمالة الحكومة البريطانية لدعم مشروع الحركة الصهيونية:

تزع حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك_ التيار الصهيوني المناادي بالاستعانة ببريطانيا إثر خروجها بعد الحرب العالمية الأولى كأقوى دولة إمبريالية في العالم، حيث لعبت توازنات القوى الإمبريالية بعد الحرب العالمية الأولى، دوراً في انجذاب بريطانيا وتحمسها للمشروع الصهيوني في فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر، ووجدته ملائماً لمصالحها الاستعمارية في الشرق⁽⁶⁹⁾، وقد انتصر تيار وايزمان في حسم الخلاف حول دولة الحماية وموقع الوطن القومي هو، فقد شهدت تلك المرحلة انتقال الزعيم الصهيوني من أصل روسي، حاييم وايزمان للعيش في بريطانيا، سنة 1904 وعُين في جامعة مانشستر، فقد كان عالماً كيميائياً، وكان من أوائل المفكرين والزعماء الصهاينة الذين أدرکوا عبث الجهود الصهيونية الذاتية التسليية وحتمية الاعتماد على الدعم الإمبريالي لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ، وكان مدرکاً تماماً علمانية الحضارة الغربية ونفعيتها، وبالتالي فقد أدرك أن حل المسألة لا يتم من خلال تلاقي الأحلام اليهودية والأحلام المسيحية، وإنما عبر تلاقي مصالح الإمبريالية والصهيونية، فالدولة الصهيونية تحتاج إلى الدعم الإمبريالي، وانجلترا تحتاج إلى قاعدة، وبما أن الدولة اليهودية قاعدة رخيصة، على حد قول وايزمان، فلا تستطيع إنجلترا أن تجد صفقة أفضل منها⁽⁷⁰⁾، فوجود دولة يهودية عميلة في الشرق الأوسط أصبح ذا ضرورة قصوى لحماية المصالح البريطانية في تلك المنطقة المشتعلة بحركة وطنية عنيفة بمصر وحركة قومية عربية ثورية بالشام، فستقوم تلك الدولة العميلة بحماية خطوط الاتصال والسكك الحديدية التي تربط بين أرجاء الإمبراطورية البريطانية، وستعمل على تأمين قناة السويس_ أهم طريق ملاحي يربط بين الشرق والغرب_ وازدادت بريطانيا هرولةً تجاه المشروع الصهيوني مع بدء ظهور اكتشافات بترولية في بلاد فارس (إيران) التي كانت تعاني من القلاقل وعدم استقرار سياسي⁽⁷¹⁾.

ألقى وايزمان خطبة سنة 1907 في المؤتمر الصهيوني الثامن اقترح فيها تبني ما سماه "الصهيونية التوفيقية" التي تجمع بين التوجه السياسي الدبلوماسي من خلال التنسيق مع الدول الاستعمارية للحصول على دعمها لاستيطان فلسطين، والجهد الاستيطاني العملي، وقد أصبحت الصهيونية التوفيقية منذ ذلك الوقت الإطار الذي تحركت من خلاله الحركة الصهيونية، وبعد نهاية المؤتمر قام وايزمان بأول زيارة لفلسطين⁽⁷²⁾، ويقول وايزمان في مذكراته "لقد اخترت إنجلترا لعدة أسباب منها أنني لاحظت أنها البلد التي يستطيع فيها اليهودي أن يعيش بدون عوائق كما أن نظرتي الصهيونية كانت تجعلني أعتقد أن إنجلترا هي التي ستبني قضية الشعب اليهودي بأسره⁽⁷³⁾، ولم يحسم الأمر سوى ذلك الرعب الشديد الذي شعرت به الطبقة الحاكمة البريطانية، وباقي الطبقات الحاكمة الأوروبية تجاه التحولات الثورية التي كانت تحدث في روسيا في عام 1917، فقد أوضحت جلياً شرارة الثورة الأولى في شهر فبراير إمكانية تطور مجريات الأحداث إلى ثورة اشتراكية تهز دعائم الحكم في أوروبا والعالم، وبالتالي أصبح دعم الحركة الصهيونية ضرورة ملحة لسببين: أولاً: الصهيونية بطابعها الرجعي والمضاد للثورة قد تكون قوة مساعدة على احتواء العمال اليهود الأوروبين الذين انخرط مئات الآلاف منهم في صفوف مختلف الحركات الاشتراكية الثورية، ثانياً: أصبح ضرورياً إنشاء دولة تلعب دور "قاعدة للإمبريالية" في الشرق الأوسط لاحتواء توابع المد الثوري ومنع انتشاره في تلك المنطقة، وليس مستغرباً إذ أن يصدر "وعد بلفور" المؤيد لإنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين في 2 نوفمبر 1917⁽⁷⁴⁾ _ أي عشية الثورة البلشفية_ وقد تكلم اللورد ونستون تشرشل عضو

(69) مارشال، فيل، الانتفاضة: الصهيونية والإمبريالية والمقاومة الفلسطينية، لندن، بوكماركس، 1989م، ص33.

(70) الشيخ خليل، نهاد، مرجع سابق، ص167-168.

(71) مارشال، فيل، مرجع سابق، ص33.

(72) Tuchman, Barbara: Bible and Sword England and Palestine from the Bronze Age to Balfour, University Press New York, New York, USA, 1956, p331.

Weizmann, Chaim: Trial and Error The Autobiography of Chaim Weizmann, Shocken Books Inc., New York,⁽⁷³⁾

USA, 1960, p93.

(74) مارشال، فيل، مرجع سابق، ص34.

البرلمان البريطاني_ والذي أصبح لاحقاً رئيساً للوزراء_ مدافعاً عن وعد بلفور بقوله أن إنشاء دولة يهودية تحت حماية التاج البريطاني يُعد مفيداً للغاية من جميع الجوانب، ومتوائماً مع مصالح الإمبراطورية البريطانية، التي من أهمها "تدمير مخططات الثوري الروسي ليون تروتسكي الرامية لإقامة دولة شيوعية عالمية يسيطر عليها اليهود"⁽⁷⁵⁾.

ثانياً: الاستثمار البريطاني والصهوني لتنتائج الحرب العالمية الأولى:

جاء اندلاع الحرب العالمية الأولى فرصة صهيونية لاستثمارها لصالح مشروعها في فلسطين؛ إذ اتصل السير هربرت صموئيل، وكان وزيراً لشؤون الحكم المحلي في اللجنة الصهيونية في إنجلترا، وعرض عليها المساعدة البريطانية، ومن ثم رفعه إلى رئيس الحكومة البريطانية لويد جورج ووزير الخارجية السير إدوارد جيري لإقامة وطن قومي ووضع تحت الحكم البريطاني المباشر، فوافق "لويد جورج" على هذا الاقتراح⁽⁷⁶⁾، حيث طرح اندلاع الحرب العالمية الأولى، على بساط البحث العملي، مصير أملاك الإمبراطورية العثمانية ومن ضمنها فلسطين، وكانت هذه هي الفرصة التي ينتظرها الزعماء الصهيونيين المقيمين في بريطانيا، فساروا إلى شرح الخدمة الكبيرة التي يودها قيام دولة صهيونية في فلسطين للمصالح الاستراتيجية للإمبراطورية البريطانية، وفي رسالة بعث بها رئيس منظمة الصهيونية العالمية "حايم وايزمن" إلى "سكوت" رئيس تحرير صحيفة "مانشستر جارديان" آنذاك، قال فيها: (يمكننا أن نقول بكل منطوق الآن أنه إذا ما وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني، وإذا ما شجعت بريطانيا الاستيطان اليهودي هناك، كمحمية بريطانية، فإن باستطاعتنا أن نحشد خلال عشرين أو ثلاثين عاماً مليون يهودي وربما أكثر، يشكلون حرساً فعالاً جداً لقناة السويس⁽⁷⁷⁾).

كانت فكرة طرح فلسطين كوطن قومي لليهود، طُرحت في وقت مبكر من الحرب العالمية الأولى كجزء من النظام العالمي الجديد وتذاتك، الذي وضعت الدول المنتصرة بواسطة الوزير اليهودي الصهيوني البريطاني "هربرت صموئيل" الذي كان يشغل حينذاك وزيراً في الحكومة البريطانية، أصبح لاحقاً أول مندوب سام بريطاني في فلسطين عام 1920م فبعد محادثات خاصة مع السير "إدوارد غراي" وزير الدولة للشؤون الخارجية، قَدّم "صموئيل" في 9 تشرين ثان/نوفمبر 1914م، مسودة مذكرة حكومية إلى رئيس الحكومة "هربرت اسكويث"، يدعو فيها إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين تحت الحماية البريطانية، وعلى الرغم من أن اقتراح "صموئيل" لم يؤخذ على محمل الجد في حينه، إلا أن "مارك سايكس" مستشار وزارة الخارجية البريطانية في شؤون الشرق الأوسط، بادر إلى إجراء مفاوضات مع أبرز المؤيدين للصهيونية، وكان "سايكس" على قناعة بأن اليهود يمثلون قوة ذات شأن في الكثير من البلاد، وربما يقومون بتخريب قضية الحلفاء⁽⁷⁸⁾.

كما برز السياسي البريطاني جيمس بلفور (1848-1930)، الذي شغل منصب وزير الخارجية ورئيس الوزراء في مطلع القرن العشرين، ليلعب دوراً في الدعم البريطاني للحركة الصهيونية، حيث تلقى بلفور تعليماً دينياً من أمه في طفولته، وتشبع بتعاليم العهد القديم، خصوصاً في تفسيراتها الحرفية البروتستانتية، ورؤية بلفور لليهود متأثرة بالرؤية الألفية الاسترجاعية التي تنظر لليهود باعتبارهم شعب الله المختار ووسيلة التعجيل بالخلص، وهذه الرؤية المستندة إلى المفاهيم الدينية، تم علمنتها فتحوّل اليهود إلى شعب منبؤ يجب إخراجهم من بريطانيا واستخدامهم في المشروع الاستعماري⁽⁷⁹⁾، وفي كانون الأول/ديسمبر 1914م كَتَف وايزمن من اتصالاته مع المسؤولين البريطانيين فاجتمع إلى كل من بلفور ولويد جورج وهربرت صموئيل، وجميعهم وزراء في الحكومة البريطانية آنذاك، وشرح لهم الارتباط المصلي بين الصهيونية والمصالح الإمبراطورية البريطانية، والواقع أن السياسة البريطانية التي أدركت منذ وقت مبكر جداً ضرورة السيطرة على فلسطين تضاعف اهتمامها بهذه الحقيقة باندلاع الحرب بحيث أصبحت أساس سياستها المشرقية⁽⁸⁰⁾.

كما أن بلفور كان يعتقد أنه ليس من مصلحة أي بلد أن يكون فيه يهود مهما بلغت وطنيتهم وانغماسهم في الحياة القومية، وانطلاقاً من كل هذا فقد تبنى قانون الغبراء الذي صدر بين عامي 1903-1905م⁽⁸¹⁾، والذي كان يهدف لوضع حد لدخول يهود أوروبا الشرقية إلى إنجلترا⁽⁸²⁾، وقد يبدو الأمر لأول وهلة وكأنه نوع من التناقض، ولكن أفكار بلفور تعبر عن

(75) سلفا، لانس، مرجع سابق، ص 11.

(76) الروسان، محمد علي، مرجع سابق، ص 118.

(77) Weizmann, Chaim: Trial and Error, Harper and Brothers, New York, 1949, p191.

(78) Wasserstein, Bernard, The British in Palestine; the Mandatory Government and the Arab-Jewish Conflict, 1917-1929, Oxford, 1991, p74.

(79) سليم، محمد عبد الرؤوف، مرجع سابق، ص 227.

(80) دروزة، الحكم، مرجع سابق، ص 21.

(81) Vital, David: Zionism The Formative Years Clarendon Press, Oxford, Great Britain, 1988, p136.

(82) Tuchman, Barbara: Op. Cit, p297.

رغبة في التخلص من اليهود واستخدامهم كوسيلة لخدمة الحضارة الغربية، وذلك من خلال نقل اليهود خارج أوروبا وتوظيفهم في خدمة الحضارة الغربية، لأنه لا يمكن حل مشكلتهم من خلال الاندماج في المجتمعات الغربية⁽⁸³⁾.

عام 1915م قدّم الوزير "هربرت صموئيل" مذكرة للحكومة البريطانية بعنوان "فلسطين-خمس اختيارات" تعطي نموذجاً للاهتمام البريطاني المتزايد بفلسطين وحيثياته السياسية، وقد شرحت المذكرة ضرورة العمل لإدخال فلسطين ضمن السيطرة البريطانية، وجعلت تهويد فلسطين على يد الحركة الصهيونية الوسيلة الفعالة لمثل هذه السيطرة⁽⁸⁴⁾، وقد حظيت مذكرة "هربرت صموئيل" على موافقة عدد من الوزراء البريطانيين المنتهزين أمثال "بلفور" و"لويد جورج"، وشكّلت أساس السياسة البريطانية التي حددت مصير فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، وفيها تكمن الجذور المباشرة لوعد بلفور الذي صدر بعد عامين⁽⁸⁵⁾.

قامت بريطانيا بمد يد العون للحركة الصهيونية لتقوية نفوذها ووجودها على أرض فلسطين ومن الأعمال الواضحة التي قامت بها بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها ما يأتي:

- 1- شكلت بريطانيا فرقة يهودية خاصة أطلق عليها اسم فرقة البغالة وألحقها بالجيش البريطاني الذي بدأ الزحف على فلسطين عام 1916م بقيادة الجنرال "إدموند اللبني"⁽⁸⁶⁾، ويُعتبر تسليح بريطانيا العديد من الشبان اليهود وضمهم إلى جيشها جزءاً من تقوية الأذرع الأمنية للحركة الصهيونية⁽⁸⁷⁾.
- 2- موافقة بريطانيا على انضمام لجنة استشارية صهيونية برئاسة وايزمان إلى القيادة العامة للجيش البريطاني⁽⁸⁸⁾.
- 3- بدأت بريطانيا بإجراء مفاوضات مع زعماء الصهيونية للوصول إلى اتفاق بشأن منح فلسطين إلى اليهود عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، ويكون ذلك تطبيقاً للشراكة معها⁽⁸⁹⁾.

ثالثاً: إصدار وعد بلفور:

استكمالاً للدور البريطاني في خدمة المشروع الصهيوني في فلسطين، سعت بريطانيا لأسباب متعلقة بأزماتها أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها، إلى استصدار وعد بلفور لمواجهة المسألتين، "المسألة الشرقية" و"المسألة اليهودية"، حيث عبّرت الأولى عن مظاهر ضعف وانهيار الدولة العثمانية، وبروز أطماع دولية من الدول الاستعمارية الأوروبية في تركة "الرجل المريض"، وتفاقم الصراع الدولي في حينه، والحرب العالمية الأولى، التي وجدت بريطانيا نفسها عشيبتها وأثناءها مهددة بخسارة نفوذها في العديد من مستعمراتها، ليس فقط لصالح أعدائها بل لصالح حلفائها أيضاً، كفرنسا التي كانت لها أطماع واضحة متعلقة بمصر والشام وفلسطين، خاصة منابع المياه وقناة السويس، ما دفع بريطانيا إلى توقيع اتفاقية سرية مع فرنسا هي اتفاقية (سايكس-بيكو) عام 1916م، والمسألة الثانية هي المسألة اليهودية وتمثلت بأفواج المهاجرين اليهود الهاربين من اضطهاد الدولة الروسية إلى أوروبا، والذين شكلوا تهديداً اجتماعياً وسياسياً بسبب نمط الحياة الغريب الذي اتبعوه في حصر أنفسهم في مجتمعات مغلقة سميت "الغيتو"، صعّبت اندماجهم في الدول التي هاجروا إليها⁽⁹⁰⁾، وأظهرت اتفاقية (سايكس-بيكو) أن نوايا الدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا تجاه فلسطين سابقة لوعد بلفور وهي أكبر من أن تحصر بالتعاطف مع حقوق مزعومة لليهود في فلسطين، حيث كان يهدف اتفاق (سايكس-بيكو)، إلى تقسيم وتمزيق فلسطين إلى أقسام فلا تبقى هناك فلسطين⁽⁹¹⁾.

وفي حزيران/يونيو عام 1917م قدم الصهاينة مذكرة مكتوبة إلى بلفور تتضمن مشاريعهم المستقبلية حول فلسطين، وبعد أن أقرها اشترط تنفيذ طلبات الصهاينة هذه بعد إحراز النصر على دول المحور، وفي 3/9/1917م عقدت وزارة الحربية البريطانية اجتماعاً نوقش فيه المشروع الصهيوني واتفق على ما كان قد صرح به وزير الخارجية البريطاني، بأنه

(83) الشيخ خليل، نهاد، مرجع سابق، ص167.

(84) John Bowle, Viscount Samuel: A Biography, Victor Gollancz Ltd., London, 1957, p172-177.

(85) دروزة، الحكم، مرجع سابق، ص22.

(86) السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، منشورات صلاح الدين، القدس، 1981م، ص37.

(87) عمرو، نعمان، مرجع سابق، ص245.

(88) شكري، محمد، مرجع سابق، ص11.

(89) قاسمية، خيرية، مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية 1913-1914، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 21، آذار/مارس 1974م، ص135.

(90) السماك، محمد، قصة وعد بلفور، المستقبل - العدد 4517، 12 تشرين الأول 2012م، ص19.

(91) غنيم، أحمد، وعد بلفور بين عصبة الأمم وملك الانتداب، مجلة قضايا إسرائيل، السنة السابعة عشرة، العدد 65، ربيع 2017م، ص12.

لمس أن الجميع يوافقون على أنه من المرغوب فيه من الناحية الدبلوماسية والسياسية إصدار وعد يعطف على آمال المواطنين اليهود، فقال الإنجليز "إن الغالبية العظمى من اليهود في روسيا وأمريكا بل في سائر العالم يعطفون على الصهاينة: ولو استطعنا إصدار مثل هذا الوعد فإننا سنكون قادرين على استخدامه دعاية مفيدة للغاية في كل من روسيا وأمريكا، وتحقيق أهداف بريطانيا التي من شأنها أن تساعدنا في حسم المعركة وتحقيق أهدافها العسكرية⁽⁹²⁾.

كانت بريطانيا على قناعة أن منحها وعداً لليهود في فلسطين، سوف يخدم مصالحها على نطاق دولي أوسع في الحصول على تأييد الرأي العام الأميركي من خلال قيادات صهيونية مؤثرة في محيط الرئيس الأميركي ويلسون، قد يساهم في انضمام أميركا إلى الحرب إلى جانب الحلفاء، لذا حرصت بريطانيا على تقديم نص وعد بلفور إلى الرئيس الأميركي "وودرو ويلسون" الذي وافق عليه قبل إعلانه، ففي 1917/10/16م أرسل الكولونيل "هاوس" الدبلوماسي الأميركي برقية إلى وزارة الحرب البريطانية يعلمها فيها موافقة الرئيس الأميركي والحكومة الأميركية على نص التصريح وعلى إصداره باسم بريطانيا، ثم تبع ذلك إصدار الكونغرس الأميركي قراراً في العام 1922م أيد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وسبق أن أعلنت فرنسا في 1918/2/14م، تأييدها للتصريح وفي 1918/5/9م أعلنت إيطاليا تأييدها له⁽⁹³⁾.

وفي 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1917م، بعد مباحثات مطولة، أصدرت الحكومة البريطانية "وعد بلفور" الذي تعهدت بموجبه بـ "أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين"⁽⁹⁴⁾، وما أن تمكنت بريطانيا من الظفر ودخلت قواتها فلسطين، حتى أعلنت عن نواياها الحقيقية تجاه وعد بلفور، وعملت في أثناء فترة الحكم العسكري على تهيئة البلاد لإقامة الدولة اليهودية تطبيقاً للوعد، وازداد هذا التوجه عندما دمجت بريطانيا بين وعد بلفور وصك الانتداب، لتحول هذا النص إلى وثيقة دولية، وبذلك تكون بريطانيا عملت على تحقيق مصالحها أولاً، وإبعاد النفوذ الفرنسي عن فلسطين، من خلال كسب تأييد الصهاينة واستغلال النفوذ اليهودي في أميركا، ومراعاة لليهود غير الصهاينة وللأوضاع داخل فلسطين، وفي هذا مؤشر كافٍ لتبني بريطانيا المشروع الصهيوني رسمياً، ويمكن رد ذلك إلى عطف بريطانيا على اليهود ورد الجميل لوايز من لجهوده في مساعدة المجهود الحربي البريطاني باكتشاف مادة الاسيتون⁽⁹⁵⁾.

أيضاً عملت بريطانيا عام 1921م وما بعدها على منح الحركة الصهيونية امتيازات اقتصادية تمثلت بالمشاريع التالية: مشروع روتنبرغ للكهرباء، مشروع الحولة، ومشروع البحر الميت⁽⁹⁶⁾، حيث أدت هذه المشاريع إلى سيطرة الحركة الصهيونية على أهم الموارد الطبيعية في فلسطين ووضعها تحت تصرف اليهود، ورافق ذلك عملية تضليل وقمع وتقييد حريات العرب، ممثلين بالحركة الوطنية القومية، وتقطيع أوصالها من خلال عمليات القمع والقتل⁽⁹⁷⁾.

وفق ما سبق يمكن القول أن وعد بلفور لم يصدر من فراغ؛ بل كانت له أسبابه ومبرراته السياسية، وربما العفائية، حيث استهدفت بريطانيا خدمة مصالحها الاستراتيجية بالدرجة الأولى، وبالتالي لم يُمثل وعد بلفور أي قيمة قانونية لحظة صدوره، فهو سلب الإرادة الحرة للفلسطينيين، ولم يحظى حتى بموافقة الدولة العثمانية صاحبة الولاية على فلسطين في ذلك الوقت، لذا فهو يفتقد لكل المصوغات التي تمنحه القيمة القانونية الدولية، حيث لم يكن لبريطانيا أي صلة قانونية أو تاريخية بالمكان الذي تحدث عنه الوعد "فلسطين"، ولا حتى الجهة الممنوح لها "اليهود"، فكل الإجراءات التي قامت بها بريطانيا عقب الوعد وما تلاه من انتدابها على فلسطين؛ يُمثل تزييف للحقائق، ونفي صفة الوجود عن الشعب الفلسطيني، وما هو إلا إجحاف وتنكر للشعب الفلسطيني في حقه بالتمسك بأرضه، ومنح تلك الصفة لشتات من اليهود مفرقين في شتى أصقاع الأرض، من أجل تغيير الواقع الديمغرافي والسياسي والقانوني في فلسطين، بما يخدم مصالح القوى الاستعمارية.

خاتمة الدراسة:

لعبت بريطانيا دوراً رئيسياً في التمهيد للمشروع الصهيوني في فلسطين، حيث استند التحالف البريطاني الصهيوني على أسس وأحداث، ودعم النخبة السياسية البريطانية للحركة الصهيونية لإقامة مشروعها في فلسطين بإنشاء وطن لليهود

(92) عمرو، نعمان، مرجع سابق، ص 248.

(93) غنيم، أحمد، مرجع سابق، ص 12.

(94) دروزة، الحكم، مرجع سابق، ص 24.

(95) عمرو، نعمان، مرجع سابق، ص 245-249.

(96) السفري، عيسى، مرجع سابق، ص 108.

(97) عمرو، نعمان، مرجع سابق، ص 247.

في فلسطين، الذي تبلور تحت الدعم البريطاني، حيث ساهم في التمهيد لذلك المذهب البروتستانتي في بريطانيا، الذي تبنى الأفكار الصهيونية، وقام بتهيئة النخبة الحاكمة في بريطانيا والمجتمع البريطاني لتقبل الأفكار الصهيونية، بل والافتناع بها، كما أثرت المؤتمرات الصهيونية المنعقدة في بريطانيا، على توسع وامتداد النشاط الصهيوني في بريطانيا.

توّجت بريطانيا ذلك الدعم للحركة الصهيونية بإصدار وعد بلفور، كجزء من المخطط الاستعماري البريطاني لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، استجابةً للضغوط التي مارستها الحركة الصهيونية، مقابل الخدمات التي قدمتها الحركة الصهيونية لبريطانيا إبان الحرب العالمية الأولى، وقد تشابكت العلاقات البريطانية مع الحركة الصهيونية ما بين المعتقدات الدينية، والمصالح السياسية، والاقتصادية، والاستعمارية، والاستراتيجية.

وخلصت الدراسة إلى أن تنفيذ المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، وتطبيق وعد بلفور له تداعيات سياسية خطيرة على القضية الفلسطينية ومستقبلها، من خلال إسقاط الحقوق التاريخية والدينية للفلسطينيين، في أرضهم، كما أن هذا الوعد لا يستند لأي سند قانوني، أو تاريخي، أو ديني، بل هو تنفيذ للمخطط الاستعماري البريطاني في المنطقة العربية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- أحمد، رياض، الصهيونية العالمية، نشأتها وطبيعتها، الدار العالمية للنشر والتوزيع، بيروت، 1983م.
- التميمي، نواف عبد الحي، "اللوبي الصهيوني في بريطانيا: النشأة والنشاط"، مجلة سياسات عربية، العدد 21، 2016م.
- جريس، صبري، تاريخ الصهيونية، الجزء الأول: التسلل الصهيوني إلى فلسطين 1917-1962، القدس، فلسطين، 1987م.
- الحارثي، إبراهيم، من بابل إلى بوش، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 2005م.
- الخولي، حسن صبري، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1973م.
- الدجني، يحيى علي، تحدي الحركة الصهيونية للقوى العربية والإسلامية، دار النمير، دمشق، 1985م.
- دروزة، الحكم، ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، بيروت، 1973م.
- السمالك، محمد، الصهيونية المسيحية، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2000م.
- شكري، محمد عزيز، البعد الدولي للقضية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، 1990م.
- عبد الرحمن، أسعد، المنظمة الصهيونية العالمية: البدايات والمؤسسات والنشاطات والصراعات 1882-1982، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، 1985م.
- الفتلاوي، سهيل حسين، الصهيونية حركة استعمارية استيطانية توسعية، مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع، مطبعة عصام، بغداد، 1990م.
- الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط10، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990م.
- مارشال، فيل، الانتفاضة: الصهيونية والإمبريالية والمقاومة الفلسطينية، لندن، بوكماركس، 1989م.
- المسيري، عبد الوهاب، الأيديولوجية الصهيونية، الجزء الأول، الكويت: عالم المعرفة، 1982م.
- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية دار النهضة العربية، القاهرة، 1975م.
- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة في جزئين، الطبعة الخامسة، دار الشروق، القاهرة، 2009م.
- الهرابي، عبد السميع، الصهيونية بين الدين والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.
- هرتزل، ثيودور، الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الزهراء للنشر، القاهرة، مصر، 1994م.

ثانياً: الرسائل العلمية:

- حرب، إسلام، نشاط الحركة الصهيونية في بريطانيا 1897-1948، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2017م.
- السياتين، راجح إبراهيم، المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2007م.
- سليم، محمد عبد الرؤوف، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة 1914-1918، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1971م.
- الشيخ خليل، نهاد، دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني 1656-1917، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2003م.
- نوفل، ساجدة، البعد الديني للصراع العربي الصهيوني (الدولة اليهودية: دراسة حالة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، 2018م.

ثالثاً: المجلات العلمية:

- الروسان، محمد علي، التحالف البريطاني الصهيوني الطريق إلى اغتصاب فلسطين، المجلة السياسية والدولية، العدد 20، الجامعة المستنصرية، 2012م.
- السعدي، قاسم، الدعاية السياسية للحركة الصهيونية وابعادها الاستراتيجية، مجلة اتجاهات سياسية، العدد الثالث، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، آذار/مارس 2018م.
- السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، منشورات صلاح الدين، القدس، 1981م.
- سلفا، لانس، الصهيونية: المسيح الكاذب، أمريكا: إنترناشيونال سوشياलिست ريفيو، ربيع 1998م.
- السماك، محمد، قصة وعد بلفور، المستقبل - العدد 4517، 12 تشرين الأول 2012م.
- العزاوي، خليل، الأهداف والأساليب الاقتصادية للصهيونية العالمية ومواجهتها، مجلة دراسات الشرق الأوسط، العدد الخامس، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1998م.
- العزاوي، خليل، حرب الخليج ومخططات الصهيونية العالمية (العولمة) والإقليمية (النظام الشرق أوسطي)، مجلة شؤون الأوسط، العدد الرابع، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1997م.
- عمرو، نعمان، دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني في فلسطين منذ عام 1917 - 1922، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الثاني والأربعون، 2017م.
- غنيم، أحمد، وعد بلفور بين عصبة الأمم وصك الانتداب، مجلة قضايا إسرائيلية، السنة السابعة عشرة، العدد 65، ربيع 2017م.
- قاسمية، خيرية، مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية 1913-1914، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 21، آذار/مارس 1974م.
- محمود، أمين، الصهيونية فكرة ودولة في كتابات أحاد هعام، مؤتمة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتمة، عدد 1، مجلد 2، حزيران 1987م.
- مرسي، علي رؤوف، أثر رواد المفكرين في الكيان الصهيوني، مجلة المستقبل، يوليو 1968م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- صالح، محسن، وثيقة كامبل بنرمان.. حقيقة أم مزيفة؟!، شبكة الجزيرة الإعلامية، (2017/9/12)،
<https://cutt.us/aWgoa>
- دلول، عصام سمير، المفكرون الأوائل للصهيونية، شبكة أمد للإعلام، (2021/11/30)،
<https://cutt.us/rmSER>

خامساً: المراجع الأجنبية:

- Cohen, Stuart: English Zionists and British Jews The Communal Politics of Anglo Jewry 1895-1920, Princeton University Press, New Jersey, USA, 1982.
- Endelman, Todd: The Jews of Britain 1656-2000, University of California Press, London, England, 2002.
- Hyamson. Albert, M, Palestine Under Mandate 1920-1948, Greenwood Press, London, 1976.
- John Bowle, Viscount Samuel: A Biography, Victor Gollancz Ltd., London, 1957.
- Lowenthal, Marvin (Editor): The Diaries of Theodor Herzl, The Dial Press, USA, 1962.
- Rabkin, Yakov M, A Threat from within: A Century of Jewish Opposition to Zionism, Fernwood Publishing, 2ed Books Ltd. London, 2006.
- Rubinstein, W.D, The Left. The Right and The Jews, Croom Helm & Canberra, London, 1982.
- Sokolow, Nahum, History of Zionism 1600-1918, Longmans, Green And Co, London, 1919.

- Tuchman, Barbara: Bible and Sword England and Palestine from the Bronze Age to Balfour, University Press New York, New York, USA, 1956.
- Vital, David: The Origins of Zionism, Clarendon Press, Oxford, Great Britain, 1975.
- Vital, David: Zionism The Formative Years Clarendon Press, Oxford, Great Britain, 1988.
- Wasserstein, Bernard, The British in Palestine; the Mandatory Government and the Arab-Jewish Conflict, 1917-1929, Oxford, 1991.
- Weizmann, Chaim: Trial and Error The Autobiography of Chaim Weizmann, Schocken Books Inc., New York, USA, 1960.
- Weizmann, Chaim: Trial and Error, Harper and Brothers, New York, 1949.